إعجاز القرآن في أوائل سورة الروم

بحث من إعداد

م.د. محمود عبدالرزاق جاسم

جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية

١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل كتابه مليئاً بالمعجزات، وأودعه دلائل وبراهين لتؤكد إعجازه الخالد، على الرغم من محاولات المشككين للنيل منه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فقد تحدى القرآن أهل البيان في عبارات محرجة معجزة أن يأتوا بمثله فلم ولن يستطيعوا فعل ذلك على مر الأجيال والأزمان من قريش الفصيحة وأساطينها في اللغة إلى يومنا هذا، قرآن معجز خالد بحق صالح لكل عصر وزمان، متضمن آيات فيها حقائق علمية وكونية وغيبية وبلاغية إلى غير ذلك.

ومن تلك المعجزات عندما تحقق ما جاء في أوائل سورة الروم في حديث القرآن عن أمر غيبي سيحدث بعد بضع سنيين ألا وهو انتصار الروم على الفرس، وفيه حقيقة أخرى انكشفت في عصرنا هذا ألا وهي ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾، وما عناه من أنها أخفض منطقة في العالم.

فهذه الحقائق لم يكن العقل البشري ليستوعبها لو ظهرت في حينها؛ لكن أرادة الله تعالى تقضي أن يظهر كل شيء في ميعاده، ﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ ﴾ (الأنفال:٤٢)، وتقام حجة الله تعالى على عباده في أرضه بآياته، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾ (فصلت:٥٣)، ومن هنا كانت آيات القرآن صالحة لكل عصر وزمان.

وفي هذا البحث حاولت جاهدا الوقوف على ما تضمنته الآيات الأولى في مطلع سورة الروم، وكتبت تمهيداً لهذا قدمت فيه نبذة توضيحية عن تلك الآيات وما أراده الله تعالى فيها، ثم ذكرت أقوال أهل العلم في التفسير لما عنته الآيات الكريمة، ثم فصلت القول في قوله تعالى:﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾؛ لأنها المقصد الأول في ما تضمنته تلك الآيات من إعجاز. ومن الجدير بالذكر هنا أن أهل العلم تحدثوا عن تلك الآيات بأبحاثهم وكتبهم، وهذا ما حاولت أن أبرزه وأشير إليه من خلال استعانتي بتلك الأبحاث ونقلي عنها، فجزاهم الله خيراً. وفي ختام بحثي هذا لا يسعني ألا أن أقول: سبحانك ما أعظمك منعماً وما أضعفني شاكراً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

بين يدي الآيات:

سورة الروم سورة مكيّة، وقد نزلت لتنبئ الرسول ﷺ والمسلمين بأمر غيبي سيقع بعد أعوام وهو انتصار الروم على الفرس بعد أن هزموا، وهذا الإخبار بأمر غيبي هو في قمة الإعجاز ومن أظهر الدلالات على نبوة الرسول الكريم ﷺ وصدقه، وسميت سورة الروم لذكر تلك المعجزة الباهرة التي تدل على صدق أنباء القران العظيم وهي بعض معجزاته، وأهدافها هي أهداف السور المكية نفسها التي تعالج قضايا العقيدة الإسلامية في إطارها العام وميدانها الفسيح: الإيمان بالوحدانية وبالرسالة وبالبعث والجزاء، ويدور محورها الرئيس حول قضية العقيدة، شأنها في ذلك شأن كل القرآن المكي. ومن قضايا العقيدة الأساسية الإيمان بوحدانية الخالق -سبحانه وتعالى-، وبوحدة الرسالة، ووحدة الخلق، والإيمان بالآخرة وأهوالها، ومنها هول البعث، وهول الحساب، وهول الميزان، وهول الصراط، وحتمية الجزاء، وحتمية الخلود في الحياة القادمة إما في الجنة أبدا أو في النار أبدا...!!

وقد ابتدأت السورة الكريمة بالتنبؤ بحدث غيبي قبل وقوعه بعدة سنوات ألا وهو انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم أمامهم قبل نزول هذه السورة المباركة بعدة سنوات، وتزخر السورة بالأمر بتسبيح الله، وتنزيهه وحمده، وبالاستشهاد بعدد كبير من الآيات الدالة على طلاقة قدرته وشمول علمه، وعدل قضائه، وتنصح السورة النبي والرسول الخاتم ﷺ بأن يقيم وجهه لدين الإسلام الحنيف، الذي لا يرتضي ربنا - تبارك وتعالى- من عباده دينا سواه؛ لأنه دين الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، والتي لا تبديل لها، وإن كان أكثر الناس لا يعلمون ذلك، وتأمر المسلمين بالإنابة إلى الله وتقواه، كما تأمرهم بإقام الصلاة، وبالحذر من الوقوع في دنس الشرك بالله؛ لأن الذين أشركوا قد فرقوا دينهم، وكانوا شيعا عديدة بحسب أهوائهم، وكل حزب منهم فرح بما لديه.

وتحدثت السورة الكريمة عن شيء من التقلب في طبائع النفس البشرية، الذي لا تستقيم معه الحياة السوية، مثل اللجوء إلى الله تعالى في الشدة، والإعراض عنه في الرخاء، والإيمان به تعالى في لحظات الضيق، والشرك أو الكفر به تعالى وبما أنزل في لحظات السعة والرحمة، وتضرب السورة مثلا للناس من حياتهم على سخافة فكرة الشرك بالله إذا ناقشها العقل بشيء من الموضوعية والجدية، ومن مكارم الأخلاق التي تدعو إليها السورة الكريمة: الأمر بإخراج الزكاة وإيتاء ذي القربى، والمساكين وأبناء السبيل، والنهي عن أكل الربا، على أن ينطلق ذلك كله من الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق، الرزاق، المحيي، المميت، وتربط السورة بين ظهور الفساد في البر والبحر وبين أعمال الناس وما كسبت أيديهم، وتأمر بالسير في الأرض لاستخلاص العبر من سير الأولين، ومصائر الظالمين.

وتؤكد السورة مرة ثانية لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ضرورة الاستقامة على الدين القيم من قبل أن تأتي الآخرة فيصدع بها كل الخلائق ثم يجزى كل بعمله.

ومن الآيات التي استشهدت بها سورة الروم علي طلاقة القدرة الإلهية: خلق السموات والأرض، وخلق الأحياء، وخلق الإنسان، كل ذلك في زوجية تشهد للخالق وحده سبحانه بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ومنها اختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وإعطاء الإنسان الاستطاعة على النوم بالليل أو في النهار،

وعلى ابتغاء فضل الله، ومن آياته الرعد والبرق، وإنزال المطر، وإحياء الأرض بعد موتها، وقيام السموات والأرض بأمره، وخضوع كل من فيها أو عليها بأمره، وبعث الموتى بأمره، وأنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض.

ومن آياته إرسال الرياح برحمة منه وفضل، وجري الفلك بأمره، وإثارة السحاب، وما سيتبعه من أحداث بأمره، ومرور كل حي بمراحل من الضعف، ثم القوة، ثم الضعف والوفاة، ومن آياته أنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير، وتذكر السورة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بشيء من قصص من سبقه من الأنبياء والمرسلين، وما أصاب أقوامهم من انتقام من الظالمين، ونصر للمؤمنين، كما تذكره ﷺ بأن ما عليه إلا البلاغ.

وتختتم السورة الكريمة مرة أخرى بالحديث عن البعث وأهواله، وعن مصير أهل الكفر والشرك والضلال في هذا اليوم العصيب، ومصير أهل الإيمان والتقوى، وتكرر الإشارة إلى شيء من طبائع النفس البشرية، وقد ضربت لها آيات القرآن الكريم من كل مثل، ولكن الذين كفروا لا يؤمنون، فالله تعالى قد طبع على قلوب الذين لا يعلمون.

وتنتهي السورة بتثبيت خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بوصية من الله تعالى له بالصبر على استخفاف الكفار والمشركين بدعوته، والاطمئنان بأن وعد الله حق، وهو واقع لا محالة[1]...!!

وحديثنا في هذا البحث عن الإشارة القرآنية لهزيمة الروم وانتصارهم على الفرس فيما بعد، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ (الروم:١-٦)، كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكانت بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة، وكانت الإمبراطورية الفارسية تقع شرقي الجزيرة العربية على الساحل الآخر للخليج العربي، وكانت الإمبراطورية الرومانية تمتد غربي الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر إلى ما فوق البحر الأسود، وكان الفرس مشركين يعبدون النار، وكان الروم أهل كتاب وهم أقرب إلى المسلمين، في حين كان الفرس أقرب إلى المشركين في مكة، فكان المشركون في مكة يحبون أن ينصر الفرس على الروم على عكس ما كان عليه حال المسلمين من محبتهم في انتصار الروم على الفرس، وكان المشركون في مكة دائمي الفخر بانتصار الفرس على الروم ومعيّرين للمسلمين على اعتبار أنهم أهل كتاب، في حين كان الفرس وثنيين مثلهم، قال المفسرون: ((بعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يُسمى شهر براز فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم، فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم، وكان قيصر بعث رجلا يدعى يُحَنس فالتقى مع شهر براز

[1] ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ-١٩٨١م): (٢٠٤/١٢)، وما بعدها.

بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب فغلب الفرس الروم، وبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأمّيون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح كفار مكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى: { الم غُلِبَتِ الرومُ في أدْنَى الأرضِ } ... إلى أخر الآيات))[1].

إن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه و تعالى، وإن نبوءة سورة الروم هي من النبوءات الشهيرة في القرآن الكريم؛ ففي تفسير تلك الآيات يظهر لنا حقيقة إعجاز القرآن الكريم فيها وإظهاره لنا أمراً غيبياً لم يكن بالحسبان، فبعد الانتصارات التي حققها الفرس وتمكنهم من قهر الروم والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم، ووصولهم إلى القدس واستيلائهم عليها، يطالعنا القرآن الكريم بأن الفرس سيغلبون وسينتصر الروم عليهم في مدة لا تتجاوز العشر سنين، قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ ﴾ (الروم:٢)، يبين الله تعالى في هذه الآية أن الروم غُلبت من قبل الفرس، قال الطبري: " قوله: غُلبت الروم، اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء الأمصار (غُلبت الروم) بضم الغين، بمعنى أن فارس غلبت الروم. وقرئ: (غَلبت الروم) بالفتح، روي عن ابن عمر وأبي سعيد في ذلك ما حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن الحسن الجفري، عن سليط، قال: سمعت ابن عمر يقرأ (الم غَلبت الروم) فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، على أي شيء غلبوا؟ قال: على ريف الشام. والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره (غلبت الروم) بضم الغين؛ لإجماع الحجة من القراء عليه. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: غلبت فارس الروم "[2]، " أتفق المؤرخون من المسلمين وأهل الكتاب على أن ملك فارس كان قد غزا بلاد الشام مرتين: في سنة ٦١٣م، وفي سنة ٦١٤م، أي: قبل الهجرة بسبع سنين "[3]؛ فكان هذا غَلبُ الفرس الروم وقهرهم إياهم، قوله تعالى: ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ ﴾ (الروم:٣)، الآية الكريمة تبين الموقع الذي هزمت فيه الروم وهو قوله تعالى: (أدنى الأرض)، قال المفسرون: (أي: أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، وقيل: وأدنى الأرض: أقربها؛ فإن كانت الواقعة في أذرعات، فهي أدنى الأرض بالنظر إلى مكة، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله:

تنوّرتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عال

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٢٠هـ-٢٠٠م): (٧٠/٢٠). البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع (ط٤-١٤١٧هـ-١٩٩٧م): (٢٥٧/٢). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة (ط٢-١٣٧٢هـ): (٤/١٤). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م): (٣٠٠/٦).

[2] الطبري، مصدر سابق: (٦٦/٢)، وينظر: الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع: (٢٣٣/٥).

[3] محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، مطبعة السعادة، القاهرة (١٩٧٧-١٩٨٥م): (٣٣٢٧).

وإن كانت بالجزيرة، فهي أدنى بالنظر إلى أرض كسرى، فإن كانت بالأردن، فهي أدنى بالنظر إلى أرض الروم "[1]، وقبل الدخول في ذلك لابد من عرض الدلالة اللغوية لتعبير القرآن الكريم لهذا الموقع الذي هزمت فيه جيوش الروم على أيدي جيوش الفرس بـ: (أدنى الأرض).

أدنى الأرض في اللغة العربية: يقال في اللغة: دنا، يدنو، دنوا، بمعنى: قرب بالذات أو بالحكم، ويستعمل في المكان، والزمان، والمنزلة، كما يعدى فيقال: (أدنى يدني أدناه)، ويقال: دانيت أو أدنيت بين الأمرين، أي: قاربت بينهما، حتى صارت بينهما دناوة، أي: قرب أو قرابة.. و(الدني) القريب، و(الدنئ) بمعني الدون، الخسيس، وقد(دنأ)(يدنأ)، وفيهما(دناءة)، ويقال: دنؤ، بمعني انحط، والدنيئة هي النقيصة[2]. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأنعام:٩٩)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ (النجم:٨-٩)، وفي الحديث الشريف: ((عن جابر -رضي الله عنه- قال: دخلنا على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وبين يديه طعام يأكل منه، فقال: ادنوا فكلوا من هذا الطعام، فقلنا: إنا صيام يا رسول الله، فقال: هل صمتم أمس؟ قلنا: لا، قال: فهل تريدون أن تصوموا غدا؟ فقلنا: لا، قال: فادنوا فكلوا من هذا الطعام فإن يوم الجمعة لا يصام وحده))[3]، أي: كلوا مما يليكم.

ويعبر بـ(الأدنى) تارة عن الأقرب فيقابل بالأبعد أو الأقصى، من مثل قوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ ﴾ (الأنفال:٤٢)، وتارة ثانية يعبر بها عن الأخفض أو الأحقر فيقابل بالأعلى أو الأعز، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأحزاب:٥٩)، وتارة ثالثة تأتي بمعنى الأقل في مقابل الأكثر، من مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (المجادلة:٧)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ ﴾ (المزمل:٢٠)،

---

[1] الطبري، مصدر سابق: (٦٦/٢٠). البغوي، مصدر سابق: (٢٦١/٦). أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت: (٧٠/٩). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت: (٣٢٣/١٥).

[2] ينظر، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٩م): (٢١٥/١)، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت: (٢٧١/١٤).

[3] الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة (١٤١٥هـ): (٣٧٥/٤). المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمد الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م): (٣٨٣/١).

وتارة رابعة يعبر بها عن الأرذل فيقابل بالذي هو خير، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (البقرة:٦١)، وتارة خامسة يعبر بها عن الدنيا في مقابلة الآخرة، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (آل عمـــــران:١٥٢)، وسميت الدنيا بهذا الاسم لدنوها.

<u>أقوال أهل التفسير:</u>

ذكر الطبري وابن كثير: " عن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال: أما إنهم سيهزمون، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلا فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا، وقال: فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين، قال: فمضت فلم يغلبوا، قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال له: أفلا جعلته دون العشر، قال سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: فغلب الروم، ثم غلبت، قال: فذلك قوله: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، قال: البضع: ما دون العشر، ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ ﴾، قال سفيان: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر "[1]، وأضاف الطبري وابن كثير روايات أخرى للحديث عن: ابن مسعود، وعكرمة، ومجاهد، ومسروق[2]، في المعنى نفسه، وقال ابن كثير: " وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال لهم: بنو الأصفر، وكانوا على دين اليونان؛ واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك، وكانوا يعبدون الكواكب السيارة، وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها، فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح –

---

(١) الطبري، مصدر سابق: (٦٦/٢٠). ابن كثير، مصدر سابق: (٢٩٧/٦). وأخرج الحديث: الإمام أحمد، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر: (٣٠٤/١). الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١١هـ-١٩٩٠م): (٤٤٥/٢).

(٢) ينظر: الطبري، مصدر سابق: (٦٩/٢٠). ابن كثير، مصدر سابق: (٢٩٩/٦).

عليه السلام- بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له: قيصر[1]؛ فكان أول من دخل في دين النصارى من الروم (قسطنطين)؛ وأمه مريم الهيلانية من أرض حران وكانت قد تنصرت قبله فدعته إلى دينها، واستمروا على النصرانية، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم (هرقل)، فناوأه كسرى ملك الفرس، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر، وكانوا مجوسا يعبدون النار، فبعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه، والمشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره، وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة القسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه، ولم يقدر كسرى على فتح البلدة، ولا أمكنه ذلك لحصانتها؛ لأن نصفها من ناحية البر، ونصفها الآخر من ناحية البحر، فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هناك "[2].

ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع أو ثمان أو سبع، وقيل: غير ذلك، فإن البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع[3]، وقيل: " أدنى الأرض أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس، وهم، أي: الروم، من بعد غلبهم، أضيف المصدر إلى المفعول، أي: غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس، في بضع سنين، هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس "[4].

ثم جاءت النبوءة الصادقة الخاصة بغلبة الروم في بضع سنين، ففي الحديث " عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه– قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ﴾، قالوا: يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين؟ قال: صدق، قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا: دون العشر، قال: اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل قال:

فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك "[1]، وقد ورد فيها روايات كثيرة، تتفق كلها في المعنى والدلالة، وتختلف في الألفاظ وطرائق التعبير، على أن

---

(١) قيصر أو سيزار، قائد وسياسي روسي عظيم، عاش في المدة ما بين (١٤٤-١٠١ ق.م)، ومنه أُخذت التسمية.

(٢) ابن كثير، مصدر سابق: (٦/٣٠١-٣٠٢).

(٣) ينظر: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد (١٩٧٠-١٩٨١م): (١/٥٢). الجوهري، مصدر سابق: (١/٤٥).

(٤) الجلالين، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة: (٥٣١).

(١) الطبري، مصدر سابق: (٢٠/٧٢). ابن كثير، مصدر سابق: (٦/٢٩٨). وأخرج الحديث: الإمام أحمد، مصدر

تلك الآيات تضمنت عددا من الإيحاءات منها: الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان؛ ومنها الثقة المطلقة في وعد الله كما تبدو في قول أبي بكر –رضي الله عنه– في غير تلعثم ولا تردد، والمشركون يعجبون من قول صاحبه، فما يزيد على أن يقول: صدق، ويراهنونه فيراهن وهو واثق، ثم يتحقق وعد الله، في الأجل الذي حدده: في بضع سنين، والإيحاء الثالث وهو المسارعة برد الأمر كله لله، في هذا الحادث وفي سواه، وتقرير هذه الحقيقة الكلية، لتكون ميزان الموقف، وميزان كل موقف؛ فالنصر والهزيمة، وظهور الدول ودثورها، وقوتها وضعفها، شأنه شأن سائر ما يقع في هذا الكون من أحداث ومن أحوال، مرده كله إلى الله[٢]. وقيل: " احتربت الفرس والروم فيما بين أذرعات وبصرى من أرض الروم يومئذ، وهما أقرب أراضيها بالنسبة إلى مكة، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بست، فظهر الفرس على الروم، فلما بلغ الخبر مكة شق على المؤمنين؛ لأن الفرس مجوس لا يدينون بكتاب، والروم أهل كتاب، وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن والفرس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن نحن عليكم، فنزلت الآية وفيها: أن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين، والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع و(غلبهم) كونهم مغلوبين "[٣]، وقال العلماء: " غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب، وهي أطراف الشام، وهم بعد انهزامهم سيغلبون الفرس، قبل أن تمضي تسع سنوات، وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس، وقالوا للمسلمين: سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التي هي من أهل الكتاب، وقد حقق الله وعده فانتصر الروم على فارس في الأجل الذي سماه؛ فكان ذلك آية بينة على صدق محمد ﷺ في دعواه وصحة ما جاء به، ففي هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حدثين: كان أولهما قد وقع بالفعل، وأما الثاني فلم يكن قد وقع بعد، وهو إخبار عن الغيب، وحدد لوقوعه بضع سنين فيما بين الثلاث والتسع "[٤].

ففي تفسير تلك الآيات تظهر لنا حقيقة إعجاز القرآن الكريم فيها وإظهاره لنا أمراً غيبياً لم يكن بالحسبان؛ فبعد الانتصارات التي حققها الفرس وتمكنهم من قهر الروم والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم، ووصولهم إلى القدس، يطالعنا القرآن الكريم بأن الفرس سيُغلبون وسينتصر عليهم الروم في مدة لا تتجاوز العشر سنين.

سابق: (٣٠٤/١)، والحديث عن ابن عباس. الترمذي، السنن، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (٣٤٤/٥)، والحديث عن نيار بن مكرم الأسلمي. الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل (ط٢–١٤٠٤هـ–١٩٨٣م): (٢٩/١٢)، والحديث عن ابن عباس.

(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق (ط٣٥–٢٠٠٥): (٤٧٧/٥)، ما بعدها.

(٣) حسنين محمد مخلوف، صفوة البيان لمعاني القرآن، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت (ط٣): (٥٠٨–٥٠٩).

(٤) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة (ط٢٠–١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م): (٢٠٤–٢٠٥).

والناظر في حقيقة الأمر وإلى حال الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت ليقول للوهلة الأولى أن هذا أمر محال؛ لما كانت عليه حال الإمبراطورية الرومانية من ضعف وتفكك؛ فقد كان هرقل إمبراطور الروم قد أظهر غاية في الكسل والتمتع بالملذات وعبادة الأوهام في السنين الأولى من حكومته وكان يبدو كما لو كان متفرجاً أبله، استسلم لمصائب شعبه، وفجأة تحول هرقل من أرقاديوس[1]، إلى قيصر ميدان الحرب، وأستطاع أن يعيد مجد الروم خلال ستة حروب شجاعة شنها ضد الفرس، هرقل ذلك الغافل الفاقد العزيمة وضع خطة عظيمة لقهر الفرس، وبدأ تجهيز العدة والعتاد، وجهز سفنه الحربية بعد علمه بضعف قوة الفرس البحرية؛ فكانت انتصاراته كبيرة مزلزلة للفرس، وكانت لتلك الانتصارات المتلاحقة للروم الأثر الأكبر في طلب الفرس الصلح والتنازل عن الأراضي الرومية وإعادة الصليب المقدس إلى القدس، فعاد هرقل إلى القسطنطينية منتصراً في احتفال رائع واستقبله شعبه وفي أيديهم المشاعل وأغصان الزيتون.

وهكذا صدقت نبوءة القرآن الكريم في غلبة الروم للفرس في مدته المقررة، أي: في أقل من عشر سنين، كما هو في لغة العرب.

وتفصيل الحدث الأول أن الفرس والبيزنطيين اشتبكوا في معركة في بلاد الشام على أيام خسرو أبرويز أو خسرو الثاني عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى، وهيراكليوس الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل؛ ففي عام (٦١٤م) استولى الفرس على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية، ثم على دمشق، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم وأحرقوها ونهبوا السكان وأخذوا يذبحونهم، وتفصيل الحدث الثاني أن هرقل قيصر الروم الذي مني جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل في النصر، ولهذا أخذ يعد نفسه لمعركة تمحو عار الهزيمة، حتى إذا كان عام (٦٢٢م)، أي: العام الهجري الأول، أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم، وهذا النصر كان فاتحة انتصارات الروم على الفرس، تحققت بشرى القرآن، وثمة حدث ثالث يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كان مبعث فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركي قريش في غزوة بدر التي وقعت في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من العام الثاني الهجري، أي: سنة (٦٢٤م)[2].

وقد التقى الجيشان في السنة السابعة من الحرب، وغلبت الروم فارس وهزمتهم، وفرح المسلمون بذلك، قال البيضاوي: " والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب "[1]، وقال أبو السعود: " وهذه الآيات من البينات الباهرة، الشاهدة بصحة النبوة، وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبر عن الغيب الذي لا

---

(١) أرقاديوس (٣٧٧-٤٠٨م)، أحد أباطرة الرومان، هو الابن الأكبر لتيودوس الأول، تولى العرش سنة (٣٩٥م)، وأشتهر بالجبن، ينظر: فراس نورالحق، انتصار الروم البيزنطيين: (٧)، على الرابط:
http//55a.net/firas/arabic/index/bhb/?bage=show det&id=39

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٨-٩).

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت (١٤١٦هـ-١٩٩٦م): (٣٢٧/٤).

يعلمه إلا الله العليم الخبير "[٢]، وقد وقع ما أخبر به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾، (ويومئذ)، أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم، (يفرح المؤمنون بنصر الله)، أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس، وقد صادف ذلك اليوم يوم غزوة بدر، " عن أبي سعيد، قال: لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين؛ لأنهم أهل كتاب، فأنزل الله: { الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ }، قال: كانوا قد غلبوا قبل ذلك، ثم قرأ حتى بلغ: { وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ }"[٣] فكان هذا اليوم (يوم بدر) هزيمة لعبدة الأوثان والنيران معاً.

ويوم بدر وقع في السنة الثانية من الهجرة سنة (٦٢٤م)، وعلى ذلك فإن هزيمة الروم على أيدي الفرس لابد وأنها كانت قد وقعت في حدود سنة (٦١٤م) إلى (٦١٥م). وعندما تولي هرقل عرش الروم سنة (٦١٠م)، وهي سنة البعثة المحمدية، كان الفرس قد اجتاحوا بلاد الشام ومصر وهزموا البيزنطيين سنة (٦١٣م) عند أنطاكية، واستولوا على فلسطين والقدس سنة (٦١٤م)، وغزوا مصر ودخلوا الإسكندرية سنة (٦١٨م) أو (٦١٩م)، وبعد أن أقام هرقل دولته بدأ قتال الفرس سنة (٦٢٢م)، وفي سنة (٦٢٧م) أنزل بهم هزيمة قاصمة قرب نينوى، واسترد منهم أراضي الدولة البيزنطية في أرمينيا والشام وفلسطين ومصر، وفي سنة (٦٣٠م) استعاد بيت المقدس[٤].

ومن استقراء كل هذه التواريخ السابقة يتضح أن هزيمة الروم الحقيقية على أيدي جيوش الفرس كانت في حدود سنة (٦١٤م) إلى (٦١٥م)، وأن استعادتهم النصر على الفرس كانت في حدود سنة (٦٢٤م)، واستمر تقدم الروم على أرض الفرس حتى تم لهم استعادة بيت المقدس[٥]. وواضح من شروح المفسرين أن المقصود بالتعبير القرآني في أدنى الأرض الذي يصف أرض المعركة التي تمت فيها هزيمة الروم أمام جحافل جيش الفرس هو أقرب الأرض إلى مكة المكرمة أو إلى الجزيرة العربية أو إلى أرض الفرس؛ ولكن الدراسات الحديثة تؤكد أن منطقة حوض البحر الميت، فضلا عن كونها أقرب الأراضي التي كان الروم يحتلونها إلى الجزيرة العربية هي أيضا أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا، إذ يصل منسوب سطح الأرض فيها إلى حوالي الأربعمائة متر تحت متوسط مستوى سطح البحر، وأن هذه المنطقة كانت من مناطق الصراع بين إمبراطوريتي الفرس والروم، وأن المعركة الحاسمة التي أظهرت جيوش الفرس على جيوش إمبراطورية روما الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) لابد أنها وقعت في حوض البحر الميت[١]، وأن الوصف بأدنى الأرض هنا كما يعني أقربها للجزيرة العربية، فهو يعني أيضا أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، فتعبير

---

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (٤٩/٧).

(٣) الطبري، مصدر سابق: (٧٣/٢٠).

(٤) ينظر: فراس نورالحق، مصدر سابق: (٦-٧-٨).

(٥) من مقال د. زغلول النجار، غلبت الروم: quran.maktoob.com/vb/quran49491/ -120k

(١) ينظر: د. زغلول النجار، مصدر سابق: (٩).

أدنى بالأخفض هو التعبير الذي عنته الاية الكريمة؛ لذلك فإن معنى أدنى الأرض أكثر الأمكنة انخفاضا في العالم، والمثير للاهتمام أن أهم مراحل الحرب التي كانت بين الفرس والروم وأسفرت عن هزيمة الروم وخسارتهم للقدس، حصلت في أكثر مناطق العالم انخفاضا في حوض البحر الميت الذي يقع في منطقة تتقاطع فيها كل من سوريا والأردن وفلسطين، ويبلغ مستوى سطح الأرض فيها ٣٩٥متراً تحت سطح البحر، مما يجعل هذه المنطقة فعلاً أدنى منطقة من الأرض[٢]، وأهم ما في الأمر أن ارتفاع البحر الميت لم يكن ليقاس في غياب تقنيات القياس الحديثة؛ ولذلك كان من المستحيل أن يعرف أي شخص في ذلك الوقت أن هذه المنطقة أكثر المناطق انخفاضا في العالم، وهذه الإشارة القرآنية العابرة تعتبر من السبق العلمي في كتاب الله؛، لأن أحدا لم يكن يعلم هذه الحقيقة في زمن الوحي بالقرآن الكريم، ولا لقرون طويلة.

أدنى الأرض في العلوم الحديثة[٣]:

ثبت علميا بقياسات عديدة أن أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا هو غور البحر الميت، ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضا، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمائة (٣٩٥) متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزائه إلى قرابة الثمانمائة متر تحت مستوى سطح البحر، وهو بحيرة داخلية بمعنى أن قاعها يعتبر في الحقيقة جزءا من اليابسة.

وغور البحر الميت هو جزء من خسف أرضي عظيم يمتد من منطقة البحيرات في شرقي إفريقيا إلى بحيرة طبريا، فالحدود الجنوبية لتركيا، مرورا بالبحر الأحمر، وخليج العقبة، ويرتبط بالخسف العميق في قاع كل من المحيط الهندي، وبحر العرب وخليج عدن، ويبلغ طول أغوار وادي عربة البحر الميت الأردن حوالي ستمائة كيلومتر، ممتدة من خليج العقبة في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال، ويتراوح عرضها بين عشرة وعشرين كيلومترا، ويعد منسوب سطح الأرض فيها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا حيث يصل منسوب سطح الماء في البحر الميت إلى (٤٠٢) مترا تحت المستوى المتوسط لمنسوب المياه في البحرين المجاورين: الأحمر والأبيض المتوسط، وهو أخفض منسوب أرضي على سطح اليابسة كما يتضح من الأرقام الآتية:

منسوب سطح الأرض في وادي عربة=٣٥٥-٤٠٠ م تحت مستوى سطح البحر.

منسوب أعمق نقاط قاع البحر الميت=٧٩٤ م تحت مستوى سطح البحر.

منسوب سطح الماء في البحر الميت=٤٠٢ تحت مستوى سطح البحر.

مستوي سطح الأرض في غور الأردن=٢١٢-٤٠٠ م تحت مستوى سطح البحر.

منسوب سطح الماء في بحيرة طبريا=٢٠٩ م تحت مستوى سطح البحر.

---

(٢) ينظر، فراس نورالحق، مصدر سابق: (١٠).

(٣) ينظر: د. زغلول النجار، مصدر سابق: (١٠-١١). فراس نورالحق، مصدر سابق: (١٠).

منسوب قاع بحيرة طبريا=٢٥٢م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الأرض في قاع منخفض القطارة في شمال صحراء مصر الغربية=١٣٣م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الأرض في قاع وادي الموت/ كاليفورنيا=٨٦م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الأرض في قاع منخفض الفيوم/مصر=٤٥م تحت مستوى سطح البحر.

ويتراوح عمق الماء في الحوض الجنوبي من البحر الميت بين ستة وعشرة أمتار، وهو بذلك في طريقه إلى الجفاف، ويعتقد أنه كان جافا إلى عهد غير بعيد من تاريخه، وكان عامرا بالسكان، وأن منطقة الأغوار كلها من وادي عربة في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال كانت كذلك عامرة بالسكان منذ القدم حيث عرف البحر الميت في الكتابات التاريخية القديمة، ووصف بأسماء عديدة من مثل بحر سدوم بحيرة لوط بحيرة زغر، البحر النتن، بحر عربة، بحر الإسفلت والبحر الميت؛ وذلك لأن المنطقة اشتهرت بخصوبة تربتها، ووفرة مياهها فعمرتها القبائل العربية منذ القدم، واندفعت إليها من كل من العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام ومنهم قوم لوط –عليه السلام– الذين عمروا خمس مدن في أرض الحوض الجنوبي من البحر الميت هي: سدوم، وعمورة، وأدمة، وصوبييم، وزغر، وقد ازدهرت فيها الحياة إلى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد ودمرت بالكامل في عقاب إلهي أنزل بها وجاء خبر عقابها في القرآن الكريم[1] بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ ﴾ (هود:٨٢).

والأرض في حوض البحر الميت بصفة عامة وفي الجزء الجنوبي منه بصفة خاصة، التي تعرف باسم الأرض المقلوبة تتميز بالحرارة الشديدة، وبتفجر كل من: العيون المائية، والأبخرة الكبريتية الحارة فيها، وبتناثر كتل الإسفلت التي كثيرا ما كانت تطفو على سطح مياه البحر الميت إلى عهد غير بعيد. وقرى قوم لوط –عليه السلام– التي كانت تشغل أرض الحوض الجنوبي من البحر الميت، التي دمرت بالكامل بأمر من ربنا تبارك وتعالى لا علاقة لها بالحركات الأرضية التي شكلت تلك الأغوار من قبل حوالي٢٥ مليون سنة مضت،؛ ولكن بعد تدميرها بالعقاب الإلهي دخلت المنطقة برحمة من الله تعالى في دورة مطيرة غسلت مياهها ذنوب الآثمين من قوم لوط، وغمرت منطقة قراهم لتحولها إلى الحوض الجنوبي من البحر الميت، الذي يتجه اليوم إلى الجفاف مرة أخرى ليصير أرضا يابسة.

وخلاصة القول إن منطقة أغوار وادي عربة البحر الميت الأردن تحوي اخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، والمنطقة كانت محتلة من قبل الروم البيزنطيين في عصر البعثة النبوية الخاتمة، وكانت هذه الإمبراطورية الرومانية يقابلها ويحدها من الشرق الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وكان الصراع بين هاتين الإمبراطوريتين الكبيرتين في هذا الزمن على أشده، ولابد أن كثيرا من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار، وهي أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، ووصف القرآن الكريم لأرض تلك المعركة

(١) ينظر: د. زغلول النجار، مصدر سابق: (١١).

الفاصلة التي تغلب فيها الفرس على الروم في أول الأمر بأدنى الأرض وصف معجز للغاية؛ لأن أحدا من الناس لم يكن يدرك تلك الحقيقة في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، وورودها بهذا الوضوح في مطلع سورة الروم يضيف بعداً آخر إلى الإعجاز التنبؤي في الآيات الأربع التي استهلت بها تلك السورة المباركة ألا وهو الإعجاز العلمي فضلا عن إلى ما جاء بتلك الآيات من إعجاز شمل الأخبار بالغيب، وحدد لوقوعه بضع سنين، فوقع كما وصفته وكما حددت له زمنه تلك الآيات فكانت من دلائل النبوة، فان وصف أرض المعركة بالتعبير القرآني أدنى الأرض يضيف إعجازا علميا جديدا، يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق وأن النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السموات والأرض.

وكما كانت هذه الآيات الكريمة من دلائل النبوة في زمن الوحي لإخبارها بالغيب فيتحقق، فهي لا تزال من دلائل النبوة في زماننا بتأكيد أن المعركة الفاصلة قد وقعت في أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، وهي أغوار البحر الميت وما حولها من أغوار، ويأتي العلم التجريبي ليؤكد تلك الحقيقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وعلى كتّاب التأريخ أن يعيدوا النظر في استنتاجاتهم؛، لأن القرآن الكريم يقرر أن هزيمة الروم على أيدي الفرس كانت على الأرض الواقعة بين شرقي الأردن وفلسطين وهي أغوار وادي عربة البحر الميت في الأردن التي أثبت العلم أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا، والتي ينطبق عليها الوصف القرآني بأدنى الأرض انطباقا تاما ودقيقا.

وعلى الذين قالوا: إن معنى أدنى الأرض هو أقرب الأرض من بلاد فارس، أو من بلاد العرب، أو غيرها أن يعيدوا النظر في ذلك؛ لأن حدود الإمبراطوريتين كانت متلاحمة مع بعضهما بعضا من جهة ومع بلاد العرب من جهة أخرى، وعليه فلا يعقل أن يكون المقصود بتعبير أدنى الأرض في هذه الآيات الكريمة هو القرب من بلاد فارس أو بلاد العرب، فقط، وإن كانت ارض الأغوار هي اقرب الأرض إلى بلاد العرب؛ بل هي في الحقيقة جزء من أرض شبه الجزيرة العربية. فسبحان الذي أنزل هذا التعبير المعجز (أدنى الأرض) ليحدد أرض المعركة ثم ليثبت العلم التجريبي بعد أكثر من اثني عشر قرنا أن الأغوار الفاصلة بين أرض فلسطين المباركة والأردن هي أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا، ومن هنا كانت جديرة بالوصف القرآني أدنى الأرض، وجديرة بأن تكون أرض المعركة التي هزم فيها الروم، وذلك لقول الحق: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ (الروم:١-٦)

انتهى....

الخاتمة:

– لقد أعجز القرآن الكريم البشر، بلاغيا، وعلميا، وتشريعيا، وتأريخيا وغيبيا، وجغرافيا وطبيا ....؛ لأنه من وحي الله تعالى خالق كل شيء.

– إن معجزات القرآن الكريم تظهر في كل عصر بلونٍ يبهر العقول والأفكار بما يتلاءم وحاجة ذلك العصر.

– لقد كان لأوائل سورة الروم معجزتان، ظهرت الأولى في عصر النبوة عندما انهزمت الروم أمام فارس، ثم عادت لتنتصر وبحسب وعد الله عز وجل في بضع سنين، وظهرت الثانية لما تطورت الوسائل والإمكانيات العلمية في بيان موقع تلك المعارك في أغوار البحر الميت.

– تأييد الله تعالى للمسلمين بأن جعل انتصار الروم على الفرس داعما لهم، خاصة وأن المشركين كانوا استهزؤوا بالمسلمين بهزيمة الروم أمام الفرس؛ لأنهم وثنيون مثلهم.

– إن اختلاف أهل التفسير في تفسير معنى آية يرجع إلى اختلاف معاني تلك الكلمات في معاجم اللغة عند العرب.

– لقد أثبتت آيات القرآن الكريم أن لها معانٍ صالحة لكل عصر مستوعبة له؛ فالناظر لما آلت إليه معنى كلمة (أدنى الأرض) وخروجها إلى معنى (أخفض الأرض)؛ عَلِمَ عِلم اليقين أن القرآن منزل من عند خالق الكون ولا شك في ربوبيته.

– كان القرآن الكريم بحق مصدراً للمعلومات وكنزاً للحقائق، وعلى مر العصور وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المصادر والمراجع:

- الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإمام أحمد، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر.
- البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع (ط٤-١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- الترمذي، السنن، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٩م).
- الجلالين المحلي، والسيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة.
- الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١١هـ-١٩٩٠م).
- حسنين مخلوف، صفوة البيان لمعاني القرآن، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت (ط٣).
- أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت.
- الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ-١٩٨١م): (٢٠٤/١٢)، وما بعدها.
- د. زغلول النجار، غلبت الروم: quran.maktoob.com/vb/quran49491/ -120k .
- الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق (ط٣٥-٢٠٠٥).
- الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد (١٩٧٠-١٩٨١م).
- الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة (١٤١٥هـ).
- الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمد الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل (ط٢-١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).
- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٢٠هـ-٢٠٠م).

- فراس نورالحق، انتصار الروم البيزنطيين:
http//55a.net/firas/arabic/index/bhb/?bage=show det&id=39
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة (ط٢-١٣٧٢هـ).
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة (ط٢٠-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، مطبعة السعادة، القاهرة (١٩٧٧-١٩٨٥م).
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.